محاضرة الدكتور هيثم الخياط بعنوان النسخ في القرآن
2003/12/23

عدنا والعود أحمد بعد انقطاع ونرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون في هذه اللقاءات فوائد ويكتبها لنا بفضله وكرمه، كما ذكرت في مطالع هذه اللقاءات الأساس فيها جميعاً أن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم عن كتابه فإنما يسرناه بلسانك يعني بلسان النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول عز وجل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فإذاً اللسان القومي هو لسان التبيين ولا يمكن أن يكون التبيين إلا بهذا اللسان، اللسان العربي بصورة خاصة له مزية أخرى أنه دام مدة طويلة مئات السنين ثابتاً أو يكاد يكون ثابتاً واختلف في ذلك عن لغات انقرضت لم تطل تفككت إلى لغات فرعية أو إلى لغات مختلفة أما هذه اللغة التي صانها القرآن الكريم فقد بقيت وبقي على الأقل محورها الأساسي ثابتاً، لكن بالإضافة إلى ذلك منذ البداية بدأ الناس يشتقون من هذا الكلام باعتبار أنهم انفتحوا على أفكار جديدة وعلى علم جديد وعلى حضارات جديدة فبدأوا يحاولون أن يستنبطوا كلمات ومصطلحات جديدة لما يريدون قوله في البداية كان هناك نوع من الضيق عليه لم يستطيعوا أن يجدوا هذه الكلمات بسهولة فاستعملوا بعض الكلمات التي كانت مستعملة لغير ذلك استعملوها بمعنى آخر نقلوها من معناها الأصلي إلى معنىً آخر.

وبذلك أصبحنا نجد أن هنالك كثيراً من الكلام الذي نسميه مثلاً الكلام المشترك كلمة لها أكثر من معنى وهذا موجود حتى في القرآن الكريم كلام متواطئ يعني يتوافق بعضه مع بعض لكن هذا لا يعني أننا نأتي بهذا المعنى بهذا المعنى الجديد أو الذي استجد، فنحاول أن نلبسه في القرآن الكريم ولكن يجب أن نفهم القرآن الكريم كما أنزل كما كان معنى هذه الكلمة عندما نزل القرآن الكريم وهذا هو أساس هذه اللقاءات التي بدأنا بها في العام الماضي، من الكلمات التي أعتقد أن من الضروري أن أتحدث عنها أعتقد أن خير ما يمثل لها قبل أن أذكر هي أنه حينما أنزل الله سبحانه وتعالى خواتيم سورة البقرة الآية الأولى التي نزلت من هذه الآيات لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير لما قرأها الصحابة كانوا هذه الأشياء يحاولوا ألا ينتقلوا من آية إلى آية حتى يفهموها ويعملوا بها وينفذوها ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبركوا على الركب وقالوا يا رسول الله كُلفنا ما نطيق وقمنا به الصلاة والصيام أما أن نكلف بما لا نطيق، إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، يعني أنه سوف يكون هناك عقاب هنالك على ما يفكرون به أو ما يخطر بنفوسهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لهم أتريدون أن تكونوا كأهل الكتابين من قبلكم تقولون سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا

وإليك المصير، فقالها القوم حتى ذلت بها قلوبهم وعندها أنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته ورسله لا نفرق بين أحد من رسله قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، ثم يقول الإمام مسلم يروي هذا الحديث عن سيدنا أبي هريرة يقول لما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. هذا الحديث في صحيح مسلم الذي يهمني من هذا الحديث الآن الآيات الجليلة والحديث لذيذ جداً لكن الذي يهمني منها قضية النسخ، ولما فعلوا ذلك نسخها الله كلمة النسخ هي من الكلمات التي ترد في القرآن الكريم وترد أيضاً في استعمال الفقهاء ومن بعدهم فقهاء الصدر الأول ومن بعدهم وأصبحت هذه الكلمة تستعمل بعدة معاني هي أصلاً نسخ في الأصل حتى في القرآن الكريم لها أكثر من معنى.

إنا نستنسخ ما كنتم تعملون يعني نكتب ما كنتم تعملون أي نكتب ما كنتم تعملون الأصل النسخ هو الكتابة ومنها نقول نسخة الكتاب هذا معنى لدي نسخة من الكتاب هذا معنى لكن هنالك معنى آخر وهو معنى الإزالة أو الإتقان وهذا المعنى أيضاً مستعمل في القرآن الكريم لكن توسع به الفقهاء لأنهم استعملوه بمعنىً أوسع من المعنى الذي استعمل له في القرآن الكريم ومن أجل ذلك أخذنا نلاحظ كثيراً من اللبس من استعمال الناسخ والمنسوخ وتوسعاً كبيراً في هذا الموضوع، أصبحنا نسمع مثلاً أن هذه الآية أو هذه الآيات نسختها آية السيف بمعنى أبطلتها، السيف أصلاً لم يذكر في القرآن الكريم أصلاً الذي ذكر الرماح والرماح ذكرت في معرض الصيد وليست في معرض الحرب، لكن اخترعوا آية سموها آية السيف وقالوا إن هذه الآية هي التي قضت أو نسخت أو أبطلت أو رفعت حكم الكثير من الآيات الموجودة في القرآن الكريم ومفهوم النسخ هذا هو مفهوم في اعتقادي طارئ على النص القرآني على اللغة التي نزل بها القرآن الكريم أول شيء الفقهاء مثلاً توسعوا في موضوع النسخ وفرقوا بين الخبر والأمر، لغتنا نحن إما خبر وإما إنشاء أو أمر فقالوا إن الخبر لا ينسخ فقالوا إن الخبر لا ينسخ وبهذا المعنى معهم حق الأخبار لا تنسخ الله سبحانه وتعالى حينما يخبرنا عن شئ هذا خبر معناه عن أمر حصل فإذا كان ربنا سبحانه وتعالى يقول وإن تبدوا ما في أنفسهم أو تخفوه يحاسبكم به الله فهذا خبر والخبر لا ينسخ حتى بالمفهوم الفقهي بمعنى الإبطال لذلك ليس هذا هو المعنى المقصود الله سبحانه وتعالى يقول لنا في سورة أخرى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وهذا إلقاء الشيطان في أمنية أن يفهم الناس ما قاله النبي من كلام

ربهم فهماً خاطئاً الله سبحانه وتعالى لا يترك الناس بهذا الفهم الخاطئ وإنما كما يقول في تلك الآية فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته فإذاً النسخ ليس لآية من آيات الله وإنما النسخ يكون لفهم خاطئ فهمه الناس هنا مثلاً في هذه الآيات الكريمة في أواخر سورة البقرة الصحابة فهموا منها بسبب إقبالهم على الله عز وجل ورغبتهم في القيام بأفضل ما يمكن من الأعمال فهموا من المحاسبة العقاب ولذلك خافوا الله سبحانه وتعالى لم يقل يعاقبكم به الله وإنما قال يحاسبكم به الله والحساب لا يعني العقاب على الإطلاق أمس قرأنا في جريدة مكتوب عليها الإحالة إلى مجلس التأديب لا تعني الإدانة، المحاسبة لا تعني المعاقبة لذلك هؤلاء الصحابة الكرام الذين فهموا من يحاسبكم به الله أن الله سبحانه وتعالى سيعاقبهم بها هذا فهم خطأ والله سبحانه وتعالى قد نسخ هذا الفهم الخاطئ بقوله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها فبين أن هذا ليس معناه العقاب وإنما معناه الحساب فالحساب هو في وسع الناس يمكن لأي إنسان أن يقدم كشف الحساب ويمكن أن يكون كتابه بيمينه وهو يحاسب وهذا لا يعني أنه سوف يعاقب فمن أجل ذلك الله سبحانه وتعالى وضح معنى النسخ بمعنى أنه قد أزال هذا الفهم الخاطئ وأحكم الله آياته ووضح له بكل وضوح والإحكام هو إعطاء الآية الفهم القوي الثابت الذي لا مجال للالتباس فيه وهذا هو ما حصل في الآيات. طبعاً الآيات لو حاولنا أن نتعمق في معانيها فهي معاني رائعة آخرها على الأقل واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الإمام ابن تيمية يقول العفو ترك المحض واحد عفا يعني سامح المغفرة إحسان وفضل وجود ليست مجرد ترك بل إحسان والرحمة متضمنة للأمرين مع زيادة الإحسان والبر من أجل ذلك الطلبات الثلاث هذه اعف عنا واغفر لنا وارحمنا فبتدرجها كلها تجعل هؤلاء الصحابة يعيشون في رحاب الله عز وجل في هذا الجو العظيم من الرحمة والغفران والبر والعطف وذلك هو غاية ما يطمح به الإنسان أن يبقى دائماً في كنف الله عز وجل فإذاً لفظ النسخ هو لفظ مجمل كما يسميه الفقهاء هنالك في كلام العرب إجمالاً وفي القرآن أيضاً كلام مفصل وكلام مجمل الكلام المفصل هو الموضح بشكل بين ولا يمكن أن يكون فيه التباس على الإطلاق وهذا المفصل يشكل جزءاً مهماً من القرآن الكريم وهو الذي تقوم عليه الأحكام المختلفة الحكم الشرعي يجب أن يكون مفصلاً الله سبحانه وتعالى يقول وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم المحرمات لا تأتي مجملة لا تأتي بصيغة خطاب جانبي أو برواية من الروايات يشتم منها أو يفهم منها بشكل ما أنها محرمة الحرام الله سبحانه وتعالى قال وقد فصَّل لديكم ما حرم عليكم فيجب أن يكون مفصلاً فمثلاً الحديث الذي يستشهد به جمهور الفقهاء بتحريم المعازف الحديث هو في صحيح البخاري يقول الإمام البخاري قال هشام بن عمار يكون من بعدي يكون فيهم تشرب الخمر يستحلون فيه.. والمعازف وما شابه ذلك، الحديث أولاً في سنده بأنه الإمام البخاري قال هشام بن عمار وهو

شيخ البخاري ولكن لو كان البخاري يريد أن يقول حدثني هشام بن عمار فهو لم يقل حدثني لذلك الإمام ابن حزم يقول هذا الحديث منقطع لكن لو فرضنا أن الحديث غير منقطع هذا في اعتقادي لا يصلح دليلاً للتحريم قد يكون دليلاً لكراهة قد يكون صفة هؤلاء القوم لكن ليس هذا نصاً لتحريمه قد يكون هنالك تحريم من نص آخر أما هذا النص فليس نصاً تحريمياً ليس نصاً محرماً لأنه ليس نصاً مفصلاً.

النصوص المحرمة يجب أن تكون واضحة جداً الله سبحانه وتعالى يقول حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والميتة بعدين فصلت في سورة المائدة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا من ذكيتم هذا كله ورد بتفاصيل المحرم دائماً يرد بتفاصيل لأن المحرم ضيق جداً في الإسلام الله سبحانه وتعالى لم يحرم إلا أشياء قليلة معدودة والغالب فيها والأصل فيها أنها مضرة للناس ولكن قد لا نفهم بعض حكمتها في بعض الأحيان، ثم تتجلى هذه الحكمة في موقع آخر ولكن بمجرد الله سبحانه وتعالى قد حرمها فنحن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ولكن ينبغي أن تكون محكم مفصل وأقول هذا القول لأن الكثير من إخواننا في هذه الأيام يجترئون على التحريم كثيراً يستسهلون التحريم ما أسهل ما نسأل إنساناً عن شيء فيقول هذا حرام لكن المشكل أن يكون فيه إثم كبير قضية التحريم هي من صلاحيات الله عز وجل وحده ولذلك فالاجتراء على التحريم نوع من مزاحمة الله سبحانه وتعالى ولذلك قرنه الله بالشرك في الحديث الصحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم أزاحتهم عن الدين الحق وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً قرن الله سبحانه وتعالى تحريم الحلال بالشرك يعني هذا إثم كبير جداً ولذلك ذكرت هذا الموضوع بالمناسبة لأنبه إلى أهمية هذا الشيء وأنه من الضروري أن نحاذر كثيراً الاجتراء على التحريم الأصل في الأشياء الحل لأن الله عز وجل يقول خلق لكم ما في الأرض جميعاً بل يقول خلق لكم ما في السماوات والأرض جميعاً فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق هذه الأشياء لنا فقد أباحها لنا إلا ما منع عنا بنص بعض الناس حرمت عليهم بعض الأشياء عقوبة لهم كما حرمت بعض الأطعمة على بني إسرائيل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها كذلك جزيناهم ببغيهم فإذا هذا كان نوع من العقوبة فالتحريم قد يكون نوعاً من العقوبة وقد يكون من فضل الله على هذه الأمة أن المحرمات هي الأشياء التي تضر ولذلك نلاحظ في كثير من الأحيان أن الله سبحانه وتعالى يذكر قضية الضرر بشكل واضح نسمع كثيراً من بعض الناس أنهم يقولون إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل نصاً في تحريم الخمر هكذا بنص التحريم بل

فعل الله سبحانه وتعالى يقول يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير بقية الآية ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فجعل الإثم مقابل النفع إذا الإثم معناه الضرر في هذه الآية، ثم يقول في آية أخرى قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم فالله سبحانه وتعالى قد حرم الإثم والخمر فيها إثم كبير لذلك فهي محرمة بكلمة التحريم أما قضية الاجتناب فاجتنبوها فهذا تحريم أوسع لأنه في الحديث الصحيح لعن الله الخمر وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها إلى آخره معناه وسع نطاق التحريم حتى لا تقرب بشكل من الأشكال أما قضية التحريم المركزية فهي واردة بنص التحريم الله سبحانه وتعالى يقول إنه حرم الإثم يعني الضرر إذاً هذه حكمة واضحة جداً الله سبحانه وتعالى حرم الإثم فكل ما هو ضار حرام محلولة كل ما ينطبق عليه اسم الضرر فهو محرم كانت أشياء لا نعرف إنها مضرة ثم ثبت طبياً أنها مضرة مئة بالمئة الآن أصبحت محرمة لم تكن فيما سبق محرمة لأن الناس لم يعرفوا لم يتيقنوا هذا الضرر فيها أما مادام هذا الضرر قد أصبح متيقناً يعني التدخين بصورة خاصة وبعض الأمور الأخرى التي تضر بالبيئة وتضر بالإنسان ومن حوله كل هذه الأشياء تحرم لأنها إثم لأنها ضارة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه الجامع المانع لا ضرر ولا ضرار.

لا يجوز للإنسان أن يضر نفسه ولا يجوز له أن يضر غيره ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيره، لا يجوز أن يعدي الإنسان غيره ولا يجوز أن يعرض نفسه للعدوى كثير من الناس يفهمون من هذا الحديث معنى النفي أن لا النافية وأنا أعتقد في جلسة سابقة تحدثنا عن أنواع لا في اللغة العربية فهذه ليست لا النافية إطلاقاً ولكنها لا النافية للجواز هذه تنفي جواز كما أنها تنفي جواز الضرر لا ضرر تنفي جواز العدوى والدليل على ذلك لو كانت نفياً للتطير لما قال النبي صلى الله عليه وسلم وخيرها الفأل النبي عليه الصلاة والسلام لا ينفي التطير التطير موجود بالناس كل الناس يتشاءمون ولكن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التشاؤم وكذلك نهى عن العدوى ويؤكد ذلك أيضاً ما ورد في آخر الحديث وفر من المجذوم فرارك من الأسد، فأحاديث يجب أن نفهمها متصلاً بعضها ببعض لا أن نضرب بعضها ببعض هذا استطراد أعود إلى موضوع النسخ. فكلمة النسخ بصورة رئيسية هي تغيير أو رفع ما يلقى في أفهام الناس من فهم خاطئ وهذا وارد كثيراً وهنالك كثير من الناس يخطئون في فهم بعض الآيات ثم يأتي القرآن الكريم فيوضح ذلك يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وجاهدوا في الله حق جهاده التساءل حق التقاة وحق الجهاد هذا شيء لا نستطيع أن نصل إليه فبين الله سبحانه وتعالى ذلك بأنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها فاتقوا الله ما استطعتم وغير ذلك من الآيات التي تنسخ الفهم الخاطئ وتوضح

الفهم الصحيح الذي يردنا إلى سواء الصراط. بمناسبة هذه الآيات لا يكلف الله نفساً إلا وسعها نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يستعمل كلمات يجب أن نعيشها كما أنزلت الوسع الحرج الطاقة الاستطاعة هذه كلمات يجب أن نفكر فيها بعض التفكير الوسع أتت من أي جذر، من وَسَعَ فمعناها الاتساع معناها ما يكون واسع معناها ما يكون واسعاً على الإنسان يسعه أو ما يستطيع الإنسان أن يسعه يعني إما هو يسع الإنسان أو الإنسان يسعه وقضية السعة مهمة جداً لأن الله سبحانه وتعالى يأمر بالسعة وينهى عن الضيق يعبر عنه في غالب الأحيان بالحرج معناه الضيق فمن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء فالحرج هو الضيق فحينما يقول ربنا سبحانه وتعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ما جعل أبداً هذا معناه رفع الحرج رفعاً نهائياً كل ما يؤدي إلى حرج فإنه مرفوع لذلك حينما جاء الناس للنبي صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق في حجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي حجها النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه واحد ذبحت قبل أن أحلق الثاني يقول حلقت قبل أن أذبح رميت قبل أن أذبح كان يقول لهم ماذا؟ افعل ولا حرج اذبح ولا حرج، احلق ولا حرج ارمي ولا حرج لماذا لأن هذا الدين ليس فيه حرج وما جعل عليكم في الدين من حرج فكل شيء يؤدي إلى الحرج هو مرفوع لأن الله سبحانه وتعالى يريد الوسع ولا يريد الحرج يريد المباح ما معنى المباح تأتي من كلمة الباحة معناها المساحة الواسعة فأيضاً رجعنا إلى مفهوم الوسع مفهوم السعة والاتساع هذا هو المباح ما يسع الإنسان يعني هو يحيط بالإنسان ويجعل له مساحة واسعة يتحرك فإذاً الإنسان يركز على المباح يركز على الوسع يركز على اليسر فيما بعد ذلك وهذا أيضاً في نصوص واضحة جداً إن هذا الدين يسر الله سبحانه وتعالى يعرف هذه الشريعة بكلمة واحدة اليسرى ونيسرك لليسرى معناها أنه لا يوجد أيسر من ذلك أبداً هذه الشريعة التي هي أيسر من كل ما عداها ولذلك فحينما نلاحظ إنساناً يتجه إلى العسر إلى التعسير فإن ذلك معناه أنه أخذ يبتعد عن سواء الصراط، هذا الدين يسر فأوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى، المنبت هو الذي يحاول أن يسرع من أجل أن يقطع الطريق هذا بعدين سيرهق هو ودابته ومركبته هو يتوقف عن المسير لأنه لا يستطيع أن يتابع بهذا الشكل ولذلك إن هذا الدين يسر فأوغل فيه برفق النبي صلى الله عليه وسلم كما تقول أمنا السيدة عائشة ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً بطبيعة الحال النبي صلى الله عليه وسلم لا يختار إثماً أما فيما عدا ذلك فهو دائماً يختار الأيسر فإخواننا الميسرون هم المتبعون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه بأبي هو وأمي كان الميسر الأعظم وكان ينهى الناس عن التنفير كان يقول يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وقال مرة سيدنا معاذ حينما أطال في صلاته غضب النبي صلى الله عليه

وسلم وقال أيها الناس إن منكم منفرين وأمر بالتخفيف في الصلاة لأن فيهم الضعيف والمريض والشيخ وذا الحاجة، هذا كله يدل على رفع الحرج وعلى التركيز على التخفيف والتيسير والإباحة وما إلى ذلك. هذا أيضاً استطراد ولكن أحببت أن أذكره بسبب هذه الآيات وبالمناسبة قضية الطاقة أيضاً من الكلمات التي تثير أحياناً بعض التساؤلات طبعاً الطاقة الآن تستعمل للدلالة على الإنرجي يقولوا مؤسسة الطاقة الذرية وإلى آخره هذا من المعاني ولكن هذا لم يرد في القرآن الكريم إنما الطاقة يراد بها ما يطيق الإنسان القيام به ولو بمشقة مادام يطيقه فإذا هذا لا يدخل في عسر لا يدخل في الحرج الطاقة هي الحدود بين اليسر والوسع وما أشبه ذلك وبين الحرج والعسر الطاقة هي أقصى ما يستطيع أن يقوم به الإنسان الوسع هو الاستطاعة أيضاً من الكلمات التي تنتمي إلى هذه الأسرة اللغوية الاستطاعة هي ما لا يحصل معه للمكلف به ضرر راجح فكل شيء يحصل معه للإنسان ضرر راجح وهذا لا يعود مستطيعاً ولذلك يسقط عنه هذا التكليف الإنسان يستطيع القيام لكن بعض المرضى لا يستطيعون القيام في الصلاة ولو قاموا لأضر بهم ذلك وأدى بهم إلى الحرج، إذن يسقط عنهم النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (صلي قائماً فإن لم تستطع {وانظر إلى كلمة تستطع} فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنبك)، إذن فالاستطاعة هو ما لا يحصل للإنسان معه للمكلف ضرر فادح، فإذا حصل هذا الضرر سقط الأمر، مثلاً المرض يؤخر فيه الصيام، لأن الصيام مع المرض مشقة لذلك الله سبحانه وتعالى قال: (إن كنتم مرضى أو على سفر فعدةٌ من أيامٍ أخر)، إذن فهذه التخفيفات موجودة أصولها في القرآن الكريم ويمكن أن يقاس عليها كثير من الأمور بحيث أننا نجد كثير من القواعد الكلية التي تستنتج من أمثال هذه النصوص وهذه القواعد تدل على رفع الحرج، فإذن رأينا المراحل التي هي الوسع ثم الاستطاعة ثم الطاقة ثم الحرج، فالحرج معه العسر والمشقة ولكن اليسر يأتي مع الوسع.

أعتقد أن هذا ما أود أن أقوله في هذا الموضع ولو أن من الضروري أن نشير هنا إلى كلمة (وعلى الذين يطيقونه فدية) بالنسبة للصيام فالطاقة كما قلت قبل قليل هي حدود ما يقوم به الإنسان بأقصى درجات الوسع لكن تبدأ هنا مرحلة العسر، فقول: (وعلى الذين يطيقونه فدية) بعض المفسرين يقولون أن معناها أن على الذين لا يطيقونه، فلغة العرب التي نزل بها القرآن لا تحتمل هذا التأويل، وإنما الذين يطيقونه أي الذين يفعلونه بمشقة، وهذه المشقة أعتقد الآن أنها تنطبق كثيراً على الحامل والمرضع، فالحامل تستطيع أن تصوم ولكن بمشقة والمرضع تستطيع أن تصوم ولكنها تخشى على ولدها، الشيخ يستطيع أن يصوم ولكن هذا سيؤدي إلى ضعف في

بدنه أو أنه سيحول هذا الإنسان المتحرك الفعال إلى إنسان قاعد، فمثل هذه الأشياء هي التي تتعلق بالطاقة لأن الطاقة المقصود بها أن يقوم بهذا العمل بهذه المشقة البالغة، وهذه متروكة لكل حالة على حدة لأن قضية المشقة ليست في حد ذاتها هي العذر وإنما العذر أن تكون مشقة معتبرة للإنسان نفسه، ويقول الإمام إبراهيم بن الوزير في كتابه العواصم والقواصم في هذه المشقة أنها تختلف من إنسان إلى آخر فالله سبحانه وتعالى يقول في الصلاة : (إنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين) فإذن هي بالنسبة للخاشعين ليس فيها مشقة إنما هي فيها مشقة لغير الخاشعين، فإذن المشقة تختلف بالنسبة لإنسان تعتبر مشقة وبالنسبة لإنسان آخر لا تعتبر مشقة فإن المشقة هي أمر نسبي، ولذلك فهذه الطاقة أيضاً هي أمر نسبي لأن إنسان يطيق هذا الأمر وإنسان لا يطيقه، فكل أمر يؤدي إلى عدم الاستطاعة أو القيام به بشكلٍ يمكن أن يضر بالإنسان أو يضر بجنين المرأة معناه أنها غير مستطيعة أو أن هذا الرجل المسن غير مستطيع ومن أجل ذلك يمكن أن يقدم الفدية بدل الصبام.

ولنعد إلى موضوع النسخ لأن قضية النسخ تعود بنا إلى الآية المشهورة في سورة آل عمران: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه (لماذا؟) ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا) هذا التفريق بين المحكم والمتشابه لأن هنالك كثير مما ورد في القرآن الكريم نسميه المتشابه وهذا المتشابه إما أن يكون حديثاً عن شئ يشبهه شئٌ في الدنيا لكننا لا نستطيع أن نعرف صفته الحقيقية تماماً وهذا مثل أنواع الغيوب فالغيب الذي يتحدث عنه الله عزّ وجلّ على سبيل المثال الحياة في الجنة والنعيم وما شابه ذلك، فعندما يتحدث ربنا أن في الجنة لبناً وخمراً وعسلاً وأنهاراً وذهباً وفضةً وحريراً إلى آخره كل هذه الأشياء فهل هي نفس الخمر التي لدينا والحرير الذي لدينا والذهب الذي لدينا؟ لا فهذا متشابه فهناك تشابه في الصفات أو الأسماء لكن المتشابه ليس المماثل فالمشابه شئ والمماثل شئ، المشابه في بعض الأشياء تشبه الآخر لكن هناك أشياء أخرى لا تشبهها ولو أشبهه بكل شئ لكان مماثلاً له، وسيدنا عبد الله بن عباس يقول: (ما في الجنة من هذه الأمور إلا الأسماء) فإن هذه تشبه ما نقول عنه في الدنيا بأسمائها أما نحن لا نستطيع أن نتصور ما مهيأ للمؤمنين في الجنة لأن الله سبحانه وتعالى ينفي ذلك عن استطاعة البشر فيقول: (فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين) ويقول نفس يعني لا ملك ولا نبي ولا رسول ولا أي أحد يستطيع أن يعرف هذه الأشياء، فإذن هذه الأشياء فيها تشابه، فهناك من يحاولون أن يتبعوا هذه الأشياء ويدققوا فيها ويفلسفوها ومع الأسف مجموعة كبيرة ضلت في هذه المتاهات وأضاعت

وقتها وجهدها وجهد الأمة كلها في أمور من هذا القبيل، هذا كله مما لا نفع فيه ولا فائدة وهذا لا يعلم تأويله إلا الله، وما معنى التأويل؟ فالتأويل أيضاً من الكلمات التي استعملت الآن بغير الاستعمال الذي استعملت به في القرآن الكريم، التأويل بمعناها الشائع عند الفقهاء ولا سيما المتأخرين منهم هو صرف اللفظ عن ظاهره لعلة وهذا لم يرد في القرآن الكريم ولا الحديث النبوي الشريف ولم تعرفه العرب الذين نُزل القرآن بلسانهم، يبقى معنيان المعنى الأول هو التفسير وهذا الذي يستعمله شيخ المفسرين الإمام أبو جعفر الطبري حيث يقول: القول في تأويل قوله تعالى: ...، ويذكر الآية ثم يبدأ في تفسيرها، فهنا يستعمل التأويل بمعنى التفسير وهذا كلام تعرفه العرب ولكنه لم يرد في القرآن الكريم، ومعنى التأويل الذي ورد في القرآن الكريم ورد بمعنى واحد وهو التحقق أي أن يتحقق الشئ. يعني كما قلت قبل قليل أن كلام العرب أمران إما خبر أو أمر فالأمر أن يقول افعل ولا تفعل افعلوا الخير، أقيموا الصلاة، آتوا الزكاة، إلى آخره، والخبر كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن أنباء النبيين والأمم الأولى إلى آخره، هذه هي ، فإذا كان أمراً فتأويله معناها تنفيذه، فكل ما أمرنا الله به إذا نفذناه فقد أولناه لأن التأويل أتي من أَوَلَ آلَ ما يؤول إليه الشئ، فالشئ إذا كان أمراً يؤول إلى التنفيذ وإذا كان خبراً يؤول إلى التحقق، وفي سورة يوسف: (قالوا وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) أي أننا لا نعرف كيف سوف تقع أو كيف سيتحقق هذا الحلم، وهذه السورة قد ورد فيها التأويل أكثر من أي سورة أخرى، وفي قوله تعالى: (قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) نجد أن تحقق هذه الرؤية هو تأويلها، والملك قد سأل أصحابه حينما رأى سبع بقراتٍ سمان يأكلهن سبع بقراتٌ عجاف أن ينبأوه بتأويله فلم يستطيعوا (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) وذكر بعدها (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلونِ يوسف أيها الصديق أفتنا بسبع بقراتٍ سمان ...) فسيدنا يوسف وضح لهم أن هذا الذي سيحصل أنكم ستزرعون (وأتت هنا في صورة المضارع لأنه مستقبل) سبع سنين دأباً فما حصدتم فتروا في سنبله إلى آخره ثم يأتي من بعد ذلك إذن هو تحدث عن تحقق هذه الأشياء، فكلمة التأويل في القرآن الكريم معناها تحقق الأمر إذا كان خبراً ومعناها تنفيذ الأمر إذا كان أمراً، ولذلك السيدة عائشة عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان يكثر من قول: (سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلي يتأول القرآن)، فلماذا يتأول القرآن؟ لأن الله سبحانه وتعالى في سورة النصر يقول: (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فكان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلي يتأول القرآن يعني ينفذ ما أمر به القرآن الكريم وهذا ما فعله النبي ﷺ في أول القرآن أيضاً في التسبيحات في الركوع والتسبيحات في السجود قال اجعلوها في ركوعكم اجعلوها في سجودكم سبحان ربيَّ الأعلى وسبحان ربيَّ العظيم، إذن كلمة التأويل هذا هو معناها القرآني. وهذا طبعاً

لايمنع أن يكون لها معانٍ أخرى في الفقه أو في الأدب أو في أي شيءٍ آخر لكن لا نأتي بهذا المعنى الجديد والغريب فنحاول أن نقصر القرآن عليه فالقرآن الكريم لا يُقصر على شئ. وهنالك الكثير من الكلمات ككلمة السيف التي ذكرتها لا توجد في القرآن وهناك كلمات كثيرة لا توجد في القرآن واستعملها الفقهاء، مثلاً كلمة المعجز فهي لم ترد في القرآن ولا في السنة النبوية ولا يقولها أحدٌ من الصحابة وليست مألوفة في زمن نزول القرآن أبداً ومع ذلك نحن الآن أكثر ما نتحدث عنه هو الإعجاز في القرآن والآن صرنا نتحدث عن الإعجاز الحديثي أيضاً، فكلمة الإعجاز بهذا المعنى لم ترد أبداً ولكن الذي ورد في القرآن الكريم لتدل على ما تدل عليه هي كلمة البينة مثل في قوله سبحانه وتعالى: (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) وقوله: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) "Evidence"، والكلمة الثانية البرهان " Proof " مثل في قوله سبحانه وتعالى: (فذلك برهانان من ربهما) أو قوله: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)، فدائماً السؤال عن البرهان والبرهان ورد أكثر من البينة في القرآن الكريم في حوالي خمسة عشر موضعاً.

أيضاً الآية وهي وردت أكثر من سواها, الآية وردت في الغالب ما نسميه اليوم بالمعجزة, هذه هي الآية, في مثل قوله: (قل إنما الآيات عند الله), فكل نبي من الأنبياء كان قومه يطالبونه بآية, والنبي ﷺ طالبوه بآية (وقال إنما الآيات عند الله), ومن ذلك (ما ننسخ من آيةٍ أوننسها نأت بخير منها أو مثلها), فمعنى الآية هنا لا يُعنى بها آيات القرآن الكريم وإنما المعني بها هذه الآيات أو العلامات التي نسميها المعجزات فكثير من هذه الآيات أتى بها الله سبحانه وتعالى على نبيٍ من الأنبياء ثم إما إنها نُسيت وإما إنها أُجلت, وهذا أحد التفسيرين الصالحين لمعنى: (ما ننسخ من آيةٍ أو ننسها ...), أما التفسير الآخر فيتحدث عن النسخ الذي هو الإزالة أو الإبطال في هذه الآية بالتحديد يتحدث عنه بمفهوم آخر والذي هو بالمعنى الذي ذكرناه وهو الكتابة, فهذه الآية تدل في رأي عدد من كبار المفسرين أن ماننسخ من آية أي ما نكتب من هذه الآيات التي هي في اللوح المحفوظ في . وإحدى القرآت في هذه الآية (أو ننسأها) ونسأ يعني أجل والنسيئة هي الشئ المؤجل, مثل (إنما النسيئ زيادةٌ في الكفر) والنسيئ هنا التأجيل أربعة أو خمسة أيام أو أن يؤجلوها إلى العام الذي يليه, حتى نجد أنه في العام القبطي شهر النسيئ والذي هو الأيام الأخيرة التي تُضاف من أجل إكمال أيام السنة, إذن فننسأها أي نؤجل إنزالها من اللوح المحفوظ إلى الكتاب, أما ما ننسخ يعنى التي تُنزل من اللوح المحفوظ إلى الكتاب وهذا هو التفسير الأول, والتفسير الآخر الذي ذكرته هو أن تكون هناك آية من الآيات

أتت للدلالة أو للبرهنة على صدق هذا النبي ولم تأتي مع نبيٍ آخر, مثلاً إحياء الموتى, فسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام أحيى الموتى وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لم يُحيي الموتى، فإذن هذه الآية التي كانت آيةً لسيدنا عيسى لم تعد آيةً لسيدنا محمد فنسخها الله سبحانه وتعالى فلم تعد آية لخاتم الأنبياء والمرسلين.

هؤلاء الذين ذمهم أما فيما عدا ذلك أن يحاول الإنسان التعرف على المعنى الحقيقي لهذه الآيات هو شئ مأمور به لأن الله سبحانه وتعالى يقول عن القرآن: (ليدبروا آياتي) ولم يفرق في آياته بين محكمها وبين متشابهها, فإذن نحن مأمورون بأن نحاول التعرف على تفسير كل آيات القرآن الكريم سواءً كانت محكمة أو متشابهة مادمنا مخلصين في هذا العمل, لكن الأمر المنهي عنه هو أن تُستعمل هذه الآيات في بعض التحريفات أو في بعض المفاهيم الخاطئة أو في تضليل الناس, فمثلاً اليهود حتىمن زمن النبي عليه الصلاة والسلام أخذوا يأتون للأحرف التي في أوائل السور وقالوا هذه من المعجزات - ما استعملوا كلمة المعجزة ولكن ما نقول عليه اليوم بالمعجزات – وأن هذه حينما نجمعها بعضها مع بعض بناءً على حساب الجُمَّل وكانوا مشهورين بهذا الحساب للسحر والشعوذة فينتج منه المدة التي ستعيشها هذه الأمة, فجمعوها بناءً على حسابتهم فوجدوا أن هذه الأمة ستعيش إحدى وسبعين سنة, وطبعاً في هذا الوقت قد سبب هذا الأمر التباس عند بعض الناس لأن اليهود صاروا يقولون ما هذا الدين الذي سوف نعتنقه ثم ينتهي بعد واحدٍ وسبعين عاما, إذن هذا مما يُبتغى فيه الفتنة أو يُراد تأويله بشكل مختلف عن التأويل الحقيقي, ومثلها ما قاله نصارى ذلك العهد في تأويل كلمة إنَّا ونحن وهي من المتشابه لأن نحن وإنَّا تدل على الجمع من جهة ولكنها تدل أيضاً على العظيم حينما يتحدث عن نفسه من جهةٍ أخرى فالمراسيم كانت تصدر في جميع اللغات هكذا "نحن فلان أصدرنا..." فهذا الأمر استغله مسيحوا هذا الزمان ليقولوا هذا دليل على أن الله ثالث ثلاثة, ثلاثة في واحد وأنه ورد بصيغة الجمع من أجل أن يدل على هذا الأمر, فإذن هذا الأمر أيضاً من اتباع المتشابه لاتباع الفتنة وتأويله التأويل الخاطئ. فهذه إذن أمثلة من التأويل المرفوض أما كما قلت فمن المطلوب منا معرفة هذه الأشياء ومحاولة التعرف عليها وهذا ما حاوله المفسرون في جميع القرون, والتفسير قد تغير من قرنٍ إلى قرن ومن زمنٍ إلى زمن حينما اطلع الناس على بعض أشياء استجدت فاستطاعوا أن يفهموا بواسطتها أحياناً أكثر مما كانوا قد فهموها وهذا الذي يُسمى في أيامنا هذه التفسير العلمي للقرآن الكريم. وأنا أحب أن أميز بين التفسير العلمي وبين الإعجاز العلمي, فنحن نهتم بالتفسير العلمي من أجل أنه تفسيرٌ مواكبٌ لعلوم اليوم كما كان تفسير من قبلنا مواكباً للعلوم المعروفة في تلك الأيام وهذا مطلوب لأن يحاول الإنسان جهده ليدَّبر القرآن (كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبروا آياته) فهذا التدبر مطلوب, وإذا وُجد

شئٌ جديد يفتح لنا الآفاق لتبين معانٍ جديدة فلنأخذه في مثل قوله: (والأرض ذات الصدع) كل المفسرون كانوا يفسرونها بأنها التي تنصدع فيخرج منها النبات لكن الآن نعرف أن هنالك صدعاً كبيراً في قاع المحيط يشق الأرض كلها, فهذا تفسير لا نزعم بأنه هو التفسير الوحيد ولكنه تفسير منطقي ومعقول وهو أكثر معقوليةً من التفسير السابق الذي فسره السابقون, وهذه من التفاسير التي دلَّ عليها العلم – وعندما نتحدث عن العلم هنا نتحدث عن الحقائق العلمية أي الشئ الذي أصبح حقاً وبُرهن عليه برهاناً كاملاً لم يعد فيه من شك وهذا في حقيقة الأمر بناءً على فلسفة العلوم يخرج من حدود العلم أصلاً, فالعلم دائماً لا يبقى فيه إلا ما هو في حدود النظريات والأشياء المشكوك فيها والتي يؤخذ فيها ويُرد فمتى تحول إلى حقيقة انتقل إلى صف الحقائق ولم يعد له علاقة بالعلم, فالعلم بطبيعته متغير ومتحرك- فمع هذا التحقق فإن هذا التفسير العلمي شئٌ مقبول أما أن نحاول أن نلوي أعناق النصوص القرآنية ونحاول أن نفرض المعنى الذي اكتشفناه اليوم على النص القرآني فهذا أمرٌ غير مقبول على الإطلاق ولا يجوز لأن فيه تعدياً على القرآن الكريم, فكما قلت عندما نقول في تفسير هذه الآية نقول في آخرها والله أعلم نقول ربما كان المعنى كذلك, كله يبقى في حدود التواضع العلمي الذي لا يحاول أن يفرض مفهوماً أو تفسيراً معيناً على كتاب الله عزَّ وجلَّ.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منَّا صالح أعمالنا ويهدينا سُبلنا و الحمد لله رب العالمين.

س:

نعم, فإن ما بدأت به هو أن نتعرف على معنى النسخ فبدأنا بالآيات التي هي خواتيم سورة البقرة, فإن الله سبحانه وتعالى عندما أنزل: (وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) خاف المسلمون لأنهم ظنوا أن المحاسبة معناها المعاقبة, فلذلك أمرهم النبي عليه الصلاة والسلام سمعنا وأطعنا, ويقول راوي الحديث سيدنا أبو هريرة: "فنسخها الله بقوله (لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها)", فالنسخ هنا لما ألقى الشيطان في قلوب هؤلاء الصحابة الأتقياء, فالنسخ يكون لما يُلقي الشيطان وليس نسخاً لما يُنزله الرحمن, ولذلك في الآية الأخرى: (فينسخ الله ما يُلقي الشيطان) لأن الناس توسعوا كثيراً في مفهوم النسخ فبسهولة جداً يقولون هذه منسوخة بآية كذا وأن آية السيف نسخت عشرات الآيات التي تدعو إلى عدم العدوان والمسالمة, وهذا لا يعني أن آيات رد العدوان غير موجودة ولا يعني أنها غير محكمة, لكن أن يقولوا أنها نسخت وأن هنالك آية اسمها آية السيف مع أن كلمة السيف لم ترد في القرآن أصلاً فهذا إفراط, فالموضوع واضح جداً في القرآن الكريم منذ البداية (فإن انتهوا فلا عدوان إلا على

الظالمين), فهذه "لا" تنفي الجواز أي أنه لا يجوز العدوان إلا على الظالمين (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم به) فالله سبحانه وتعالى ما أمر أن نبادئ الناس بالعدوان ولا أن نبادئهم بالحرب, فبعض الناس يقولون أننا يجب علينا أن نبادئ فيتحدثوا عن جهاد الدفع وجهاد الفتح ويقولون أن جهاد الفتح مطلوب ويجب أن ننذر الناس وأن نهاجمهم, وهذا لم يرد في شريعتنا أصلاً فالله سبحانه وتعالى أنزل هذا الدين ليدَّبروه أي ليدَّبره الناس ويعتنقوه بكل حرية ومن أجل ذلك جعل الله سبحانه وتعالى الحرية أهم من الحياة ذاتها ففي القيم الإسلامية تأتي الحرية في المنزلة الأولى لأن الله سبحانه وتعالى يقول: (والفتنة أشد من القتل) (والفتنة أكبر من القتل) فما معنى الفتنة؟ الفتنة هي سلب الحرية, والقتل هو سلب الحياة, فإذا كان سلب الحرية أشد من سلب الحياة فمعناه أن الحرية أهم من الحياة ذاتها, فالحرية التي جعلت الله سبحانه وتعالى يُسجد ملائكته لهذا المخلوق الحر الذي يستطيع بملء إرادته أن يؤمن أو يكفر ويطيع أو يعصي ويأتي الخير أو يأتي الشر, فهذه الحرية هي مَيزة أساسية لهذا الإنسان ولذلك الله سبحانه وتعالى يُطالب هذا الإنسان الحر أن يؤمن بملء إرادته وملء حريته لا يُجبر على ذلك لذلك كرر في مواضع كثيرة: (لا إكراه في الدين) (أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) إذن النبي عليه الصلاة والسلام يقول له ربنا عزَّ وجلَّ (أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فمن نحن حتى نُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين, وأيضاً قوله: (لست عليهم بمسيطر) (وما أنت عليهم بجبار) وهناك آيات كثيرة تدل على هذا المعنى على أساس أن هذا الإنسان حر يجب بملء إرادته أن يختار طريقه، فمن أجل ذلك الدعوة الإسلامية هي دعوة للحوار ودعوة للجهاد باللسان قبل أن يكون جهاداً بالنفس والمال لأن درجات الجهاد متفاوتة لكل جهة وكله مقبول وكله مثابٌ عليه إن شاء الله فالنبيّ ﷺ يقول: (جاهدوا المشركين بألسنتكم وأموالكم وأنفسكم) فهو نص على أن الجهاد باللسان وقد ذكره أول درجة من درجات الجهاد.

س:

ربما، فهنالك الكثير من الكلمات التي نُقلت من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى وكثيرٌ منها لا يخطر بالبال أنها كذلك, ولكن كان هذا لأن اللغة العربية كانت منتشرة لحقبة كبيرة من الزمن تُسمى القرون الوسطى وهي القرون الوسطى المزدهرة بالنسبة لنا، وهذه القرون الوسطى هي التي علمت الآخرين كل ما عندنا، علمتهم حتى الأرقام والحساب، ومع ذلك حينما يتكلمون الآن عن تطور العلوم يتكلمون عن الإغريق ثم يقفزون قفزة واحدة إلى العصور الحديثة ويمسحون كل ما بينهم، ولذلك من واجبنا نحن أن نذكر بهذه الأشياء بأن نحاول دراستها والتنقيب عن هذه الكنوز.

س:
هنالك الكثير من الكلمات المشتركة أصلاً بين اللغات، وهذه توجد حتى في اللغات البدائية، فقد عبر الناس عن الأصوات الأساسية بأشياء متشابهة لأن الإنسان ، لكن هناك بعض الكلمات وخاصةً التي تتعلق بالنواحي الفنية والعلمية فهذه كثيرٌ منها أتت من اللغة العربية في مرحلة من المراحل كما أننا في وقتنا الحاضر نستعير كثيراً من الكلمات في اللغات الأجنبية فنقول "التليفزيون" و"الكمبيوتر" إلى آخره، فدائما اللغة التي تسود سياسياً هي التي تسود بعد ذلك علمياً.

س:
هذا صحيح، فكثير من الكلمات الموجودة في القرآن الكريم هي غير عربية الأصل، بعض العلماء يتعصبون ويقولون أن هذا قرآناً عربياً، لكن من المعروف أن من علمائنا أبو هلال العسكري على سبيل المثال في كتاب التلخيص يقول: " والكلمة الأعجمية إذا عُرِبَت فهي عربية "، فبمجرد أنها عُرِبَت فأضيفت إليها الألف واللام، جُمِعَت، اشتُق منها؛ فقد صارت عربية. وهناك كلمات كثيرة على هذا النحو، فكلمة "استبرق" مثلاً تأتي من الفارسية " استبرا" وهي نوع من الحرير، وهنالك كثير من الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم، ولذلك نلاحظ في الإعراب أن كثير من الكلمات مثل أسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف للعَلَمية والعُجمة والعُجمة تعني أنها أعجمية أي غير عربية.

س:
صرفه عن ظاهره لعلة من العلل.
التفسير هو أحد معاني التأويل فعلاً، فالعرب يعرفون أن أحد معاني كلمة التأويل هو التفسير، ولذلك استُعمِلت منذ القديم فالإمام محمد بن جرير الطبري استعملها دائماً كأن يقول: القول في تفسير قوله تعالى ويذكر الآية ثم يفسرها، فالتأويل بمعنى التفسير وارد لكن في القرآن الكريم كل كلمات التأويل التي وردت معناها تحقق الشئ إذا كان خبراً وتنفيذه إذا كان أمراً، وليس التفسير وإن كان هذا المعنى مستخدم ومقبول لكن لا نسقطه على القرآن الكريم في تفسيره.
والكلمات ذات المعاني المشتركة كثيرة جداً في اللغة العربية أي أن الكلمة لها عدة معاني، العين مثلاً؛ فالعين تعني النبع وتعني الباصرة كما أنها تعني ثقب الإبرة وتعني أيضاً الذات، إذن فهناك الكثير من الكلمات لها عدة معاني وهذا يُسمى المشترك, ومقابل ذلك المترادف وفي القرآن الكريم لا توجد كلمات مترادفة، فدائماً كل كلمة لها فويرق صغير عن الكلمة الأخرى، فلا نستطيع أن نقول أن لا ريب فيه

تعني لا شك فيه لأن الريب فيها نوع من الحركة أو الديناميكية (فهم في ريبهم يترددون) إذن فيها تردد، بينما الريب هو شئ ثابت، فإذن نجد دائماً فوارق صغيرة بين هذه الكلمات، ولذلك من القديم يقول أئمتنا أنه إن وُجد المترادف في القرآن الكريم فهو بحكم النادر والأغلب أنه لا يوجد على الإطلاق، وفي هذا الصدد نجد أن الشيخ أحمد الكُبيسي قدم حديث كامل بعنوان "الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم" يحاول أن يجمع هذه الكلمات التي يُقال عنها أنها مترادفة ويبين الفوارق بينها بحيث تظهر بكل وضوح أنها غير مترادفة.

س:

وفي غير القرآن أيضاً، فالترادف هذا قليل جداً في اللغة العربية فدائماً توجد فوارق بسيطة, مثل أسماء السيف وغيرها. وفي أسماء الله الحسنى فنجدها كلها تدل على الله عزَّ وجلَّ فمثلاً الله يدل على الذات والعليم يدل على الذات والعلم والحكيم يدل على الذات والحكمة، فكلها تشترك في أنها تدل على الذات ولذلك سُميت مشترك لكنها ليست مترادفة فكل واحدة منهم دلت على صفة تختلف عن الصفة الأخرى من صفات الله عزَّ وجلَّ.

س:

في الحديث النبوي في اللغة ، حديث المعازف, باب المعلقات قد استند حزم أنه لا يُؤخذ به في ، وجاء العلماء المعاصرون أثبتوا أن المعلقات كلها صحيحة, فهل الواو مقصود بها هنا ؟

عندما يذكر النبي عليه الصلاة والسلام صفة قوم فهذا ليس بالضرورة دليلاً على ذم هذه الصفة فهؤلاء قومٌ هذه صفتهم، فمثلاً قوم كِسرى بلغ فيهم الضعف أنهم ما استطاعوا أن يجدوا قائد يقودهم فأتوا بفتاة ليس لها علاقة بالأمور السياسية ونصَّبوها عنهم ملكة لأنهم لم يستطيعوا أن يجدوا حل، فهذه أمة تفسخت إلى حد أنه لم يعد فيها قوات فقال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (ما أفلح قوم ولو أمرهم امرأة)، فهذا لا يعني أن لا يجوز أن تُولى المرأة والدليل على ذلك أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ولَّى الشفاء بنت عبد الله السوق، فقد ولاّها على سيدنا عثمان وسيدنا عليّ وسيدنا عبد الرحمن بن عوف فكل الصحابة كانوا تحت قيادة الشفاء بنت عبد الله المحتسبة الأولى في التاريخ، وبنفس الوقت عيَّن سمراء بنت نُهيك أيضاً محتسبة في مكة المكرمة وهذه كانت تحمل عصا وتأدب الناس وهؤلاء الناس كانوا من الصحابة.

س:

الحديث به كثير من النقاط تقوم عليه وبصورة خاصة قضية المعازف التي ذكرتها آخر شئ، فنحن الآن نخص المعازف بالمعنى الذي نعرفه، ولكنها لم تكن كذلك في اللغة التي نزل بها القرآن، فالمعازف هي كل ما يُعزف به أو يُبتعد بها عن الحلال.

س:

وفي الحقيقة الشفاء بنت عبد الله كانت امرأة نبيلة ومتفردة، لأنها هي التي علمت السيدة حافصة القراءة والكتابة فهي كانت تزيل أمية المسلمين، ولذلك في مرة من المرات قال لها النبي عليه الصلاة والسلام: (ألا تُعلمين هذه (أي السيدة حافصة) رُقية النملة كما علمتيها القراءة والكتابة)، فإذن هي كانت امرأة فعالة جداً ولذلك عندما أراد سيدنا عمر محتسب يضبط السوق ما وجد أفضل من الشفاء فولاّها على السوق، والغريب أن السمراء بنت نُهيك في وقت مقارب جداً أيضاً في مكة، والرواية بالصحيح تقول: (رأيت سمراء بنت نُهيك وعليها دِرعٌ غليظ (أي بالطو سميك) وخمارٌ غليظ وبيدها عصا تؤدب بها الناس)، وهذا شئ غريب جداً أن هذه الأمور قد حدثت بهذا الزمن، لكن الإسلام كان قد غيَّر قلوب الناس تماماً فكانوا لا يبالون بالنساء أبداً فكان سيدنا عمر يقول: (كنا ما نَعُدُ للنساء أمراً)، فلما جاء الإسلام تغير سيدنا عمر في هذا الأمر كثيراً ولكن بصعوبة، فكان في مرة يفكر في أمر بينه وبين نفسه فقالت له امرأته لو فعلت كذا وكذا، فقال ما لكِ أنتِ وهذا الأمر،قالت له: ياسبحان الله يا ابن الخطاب ماتحب أن تُراجع وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ، فخاف سيدنا عمر وذهب للسيدة حافصة وقال لها كيف تراجعين النبيّ عليه الصلاة والسلام، فنهاه النبيّ عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فوقتها بدأ سيدنا عمر أن يتحول من هذا القوي وانتهى الأمر بأنه عيَّن سيدتين على المدينتين الكبرتين؛ مكة والمدينة. ولا ننسى أن الله سبحانه وتعالى يقول: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وهذا ليس معناه أن المؤمنون أولياء المؤمنات لكن معناه أن المؤمنون أولياء المؤمنات والمؤمنات أولياء المؤمنين.

س:

كثيرة هي كتب الرقائق في الحقيقة، وفيها كثير من المبالغات لكن الحد الفاصل فيها كما قلنا هو: (فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِي لهم من قرة أعين)، فنفس تنطبق على الملائكة وعلى النبيّ عليه الصلاة والسلام، فإذا كان النبيّ عليه الصلاة والسلام لا يعلم فمن باب أولى أن الناس الآخرين لا يعلمون، وقضية الرقائق قد بولغ فيها كثيراً، طبعاً هي في البداية كانت جيدة فالقصاص كانوا يقصون حتى يرققوا قلوب الناس لكن بعد ذلك تمادت حتى وصلت إلى اختراع الأحاديث وتزويرها، وعندما لاموا واحد فقال نحن

لا نكذب عليه ولكننا نكذب له، وبالطبع النبي عليه الصلاة والسلام ليس لمن يكذب له,فنحن نكتف بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ والسنة الصحيحة فيها خير كبير والحمد لله، ومن المؤسف أن العُملة الرديئة تطرد العملة الجيدة كما يقولون، فالأحاديث الضعيفة والموضوعة جعلت الناس ينصرفون عن كثير من الأحاديث الصحيحة التي فيها خير كبير. وقد أصدرنا في منظمة الصحة العالمية سلسلة الهديّ الحي وبها عدد يُسمى إعلان عمان، وهو عن اجتماع بعمان حضره عدد كبير من الخبراء والفقهاء وكانت الفكرة الأساسية به هي تعزيز الصحة لكن استنبطنا ستين نمط من أنماط الصحة كل واحدة منهم مؤيدة بنص قرآني وحديثي صحيح، فهذه النصوص كلها لا يسمع بها الناس لأنهم يسمعون الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي تشغل كل بالهم ولا ينتبهون للصحيح منها، ولذلك محاربة الأحاديث الموضوعة ولا أقول حتى الضعيفة، لأن الإمام أحمد بن حنبل يقول الأحاديث الضعيفة يُعمل بها في فضائل الأعمال كان يقصد الحديث الحسن وهو ما نسميه الحديث الضعيف، فالحديث الضعيف قولاً واحداً لا يجوز أن يُعمل به لأن فضائل الأعمال حكم والأحكام لا يجوز أن يُعمل بها بالظن والأحاديث هي كلها ظنية الثبوت إلا المتواتر منها، فمن باب أولى أن الأحاديث الموضوعة لا يُعمل بها أصلاً. وهناك حديث من أحد إخواننا أنه ذهب إلى بلدة في شمال شرق سوريا وسمع الخطيب يحكي كلام غريب كله أباطيل وأحاديث منسوبة إلى رسول الله ﷺ من كتاب معه، فعندما اطَّلع على الكتاب وجده عن الأحاديث الموضوعة فهكذا نجد انتشار هذه الأحاديث على يد من لا يعلم.

س:

لا هي ما زالت محكمة، يعني الآن الله سبحانه وتعالى في المرحلة الأولى قال: (لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى حتى تعلموا ما تقولون)، فالآن والخمر مُحرمة وقد شرب رجل الخمر وأراد أن يُصلي أنقول له لا تُصلي؟ لا،بل يُصلي لكن ما يكون سكران وإلا سيزال الحكم قائم، إذن سيكون الأمر من الإنسان نفسه أن يؤجل هذا الحكم حتى يتحقق. ونفس الشئ قد فعله سيدنا عمر رضي الله عنه فما طبق حكم المؤلفة قلوبهم في الزكاة وما قطع يد السارق في حادثة عمرو رمادة لأن الشروط لم تتوافر، ولكن حينما تتوافر هذه الشروط مرة أخرى فإنها تُطبق، يعني أنه إذا توافرت نفس الشروط التي توافرت حين نزول الآية فإن هذه الآية تُصبح محكمة، لذلك نقول في قضية النسخ أنه لا يجوز بأي حال فالنسخ الذي يقولون فيه أن الحكم قد أُبطِل لا ينطبق عليها فهذه حكمها لم يبطل لكن لم تتحقق الشروط التي تجعلها تُطبَق.

س:
هناك من يقولون هذا ولكن أنا لا أعتقد ذلك لأن الأحكام الوارد فيها عدد لا بأس به من المفسرون يقولون في: واللتان يأتيان الفاحشة من نسائكم واللذان يأتينها منكم؛ أن الفاحشة هذه ل unisexuals فاللتان يأتيان الفاحشة أي النساء يأتينها مع النساء وهكذا اللذان يأتينها أي الرجال مع الرجال، فهذا ما يخص هذه الأحكام لكن موضوع الزنا شئ آخر.

س:
قد تصلح لموضع أو موضعين لكني لم أجد هذا بشكل يمكن أن يُطبق فيها، فلم أجد حكماً كان موجوداً وحُذِف نهائياً.

س:
كل هذا ليس نسخاً فكلها حالات مختلفة عن بعضها البعض وعندما تتحقق الشروط يُطبق الحكم الأول، فهذا ليس إلغاءً لهذه الأحكام ولكنه تدرج وهذا التدرج بقى حكمه قائماً كلما تحققت الظروف.

س: هل يمكن أن توضح لنا الصورة أكثر من خلال أسباب النزول؟

أسباب النزول توضح إلى حد بعيد لكن أيضاً لا يجب الاستمساك بها دائماً لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلذلك نلاحظ دائماً بأسباب النزول أن نقول أنها نزلت في كذا وكذا، أي أنها تتكرر، وهناك بعض الفقهاء يقولون أن الآية قد نزلت أكثر من مرة ولكننا لا يمكن أن نتقبل هذا الأمر، أما أنها نزلت في كذا وكذا أي أنها تنطبق على هذه المناسبة وتلك وتلك، فهذه مواضع تطبيق الآية ولكنه ليس بالضرورة سبب نزول الآية، فسبب النزول هنا تعني أنه حينما وقعت هذه الواقعة وجدنا الآية التي تتوافق معها، فأنا الذي نخشى منه أن توسعنا في هذا قد شتت كثير من أفهامنا وميَّع كثير من أحكامنا وفتح باباً كبيراً للتغيير والتبديل، والله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين مصداقاً لقوله تعالى: (إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون) وهذه من النِعم الكُبرى على هذه الأمة لأن الأمم الأخرى من كُلِفَ فيهم بحفظ الدين هم الأحبار والرهبان وقد بيَّن لنا الله تعالى أنهم لم يحفظوه بقوله: (لما استُحفِظوا عليه من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)، إذن فالأمم الأخرى عندما استُحفِظ الناس على دينهم فضيعوه أما نحن فإن الله سبحانه وتعالى قد حفظ لنا القرآن والحديث لأنه يُعَد امتداداً للقرآن الكريم باعتباره مُفَسِر ومُبَين (ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم)، فالحديث أيضاً محفوظ باعتباره ذِكراً والله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ الذِكر، لذلك فالله سبحانه وتعالى سخَّر علماء الحديث الذين استطاعوا أن يُبرزوا

الحديث الضعيف من الحديث الموضوع وخَلَّصوا الأمة من كثير من هذه الأحكام المغلوطة التي تقع في الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تَشيع في الأمة وتُشيع فيها الوهم.

س:
الأصل هو الصلاة في المسجد والنبيّ ﷺ شدد في البداية فيها كثيراً لأن مرحلة بناء الأمة كانت تحتاج أن يجتمع الجميع خمس مرات في اليوم حتى يتلقوا كل التعليمات الجديدة ويكون بينهم هذا التكافل والتضامن، لكن حينما وصلنا إلى أواخر المرحلة المدنية نلاحظ أن النبيّ ﷺ مرة في المسجد جاء شابان فلم يُصليا والنبيّ ﷺ يصلي هو والصحابة، وبالطبع أنكر الصحابة ذلك عليهما فأُتِيَ بهما إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام ترتعد فرائسهما فقال: ما حملكما على ما فعلتما فقالا: صلينا في رحالنا (والرحال بمعنى البيت) قال: فلا تفعلا إذا صليتما في رِحالكما ثم أتيتما الإمام فصليا معه فإنها لكما نافلة والتي في رِحالكما هي الفريضة فصار إذن يُسمح للإنسان أن يصلي في بيته وهذه الصلاة مقبولة ولكن إذا جاء المسجد فعليه أن يصلي مع الجماعة نافلة، وهذه هي التي خففت من الوضع الأول وهو أنه كان من الضروري أن يوجد المسلمون بعضهم مع بعض حتى أن النبيّ ﷺ قال: (لقد هممت أن آمر بالصلاة فيؤذن لها وآمر الذين لا يأتون الصلاة أُحرِق عليهم البيوت)؛ ففي البداية كان هنالك لزوم لهذا التشديد.

ونجد في موضوع السنَّة التشريعية والسنَّة غير التشريعية – وأخونا الدكتور محمد العوَّا هو أفضل من تحدث به في وقتنا المعاصر وقد تحدث به علماء كثيرون في مقالته في العدد الإفتتاحي من مجلة المسلم المعاصر – أن كثير من الأشياء التي أمر به النبيّ ﷺ لم تكن للتشريع وإنما كانت بوصفه قاضياً ومفتياً ورئيس دولة، وهذه الأشياء كثيرة ومن الضروري في الفقه الحقيقي أن نُمَيز بين بعضها وبعض، فعلى سبيل المثال نجد أن النبيّ ﷺ قال: (لقد هممت أن آمر بالصلاة فيؤذن لها وآمر ...) لكن لم يفعل إذن هذا يعني أنه كان لا يزال يفكر بهذا الموضوع فهو شئٌ من اجتهاده وليس أمراً من الله عزَّ وجلَّ فلو كان كذلك لفعل، ومثلها (لقد هممت أن أنهى عن الغيلة (والغيلة أن المرأة ترضع وهي حامل) ثم رأيت أن فارس والروم يفعلون ذلك فلا يضرهم) فما نهى عن الغيلة، أيضاً هذا يدل على سنة اجتهادية من النبيّ عليه الصلاة والسلام فقد فكر بالموضوع واجتهد أنه حينما ترضع المرأة وهي حامل فإن هذا الرِضاع سيؤثر على الجنين ثم عندما وجد أن فارس والروم (والتي تُسمى حالياً) يرضعون أولادهم بهذه الطريقة فلذلك عدل عن هذا الحكم وكثيرة هذه الأشياء،

ولذلك من الضروري أن نفرق بين السنَّة التشريعية والسنَّة غير التشريعية؛ أي السنَّة التي جاءت بالوحي والسنَّة التي لم تجئ بالوحي، وهذه بعض منها على الأقل صححه القرآن الكريم في بعض الأحوال مثل: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى ..) و(ما كان لنبيٍّ أن أسرى حتى في الأرض) فهنالك بعض الحالات وردت في القرآن الكريم وهناك حالات قد تصرف فيها النبيّ عليه الصلاة والسلام فيها بحكم الزعامة والإمامة فهو رئيس دولة، فباعتباره رئيس دولة أمر أتباعه مثلاً ألا يقلدوا المشركين أو أهل الكتب في لباس أو في سير أو في ما شابه ذلك, وكثير من الناس يعطون قدسية لهذه الأمور مع أنها مما اجتهد فيه النبيّ ﷺ باعتباره رئيساً لدولة ومحافظاً على الكيان العام لهذه الأمة، ولذلك نلاحظ أن هذه الأحكام قد اختلف فيها القول في بعض الأحيان ففي حكم مخالفة المشركين فقالوا مرةً يا رسول الله: إن أهل الكتاب يفعلون كذا وكذا فقال: فلا تفعلوه وخالفوا، فأحياناً قال خالفوا وأحياناً لم يقل، فاللباس الذي بقيَّ يلبسه حتى وفاته عليه الصلاة والسلام هو اللباس الذي كان يلبسه أبو جهل وأبو لهب وكل كفار قريش وما غيَّر النبيّ عليه الصلاة والسلام لباسه إطلاقاً، وما غيَّر الناس اللذين أسلموا أسمائهم فنحن نلاحظ الآن أن هناك موجة قوية عند إخواننا اللذين يسلمون من الغربيين خاصةً بتغيير أسمائهم،فأبو بكر وعمر وعثمان ما غيَّروا أسمائهم والنبيّ ﷺ غيَّر الأسماء التي كانت قبيحة لكن ما غيَّر أسماء الجاهلية، فنحن نحاول أن نضخم هذه الأشياء وهي ليست بهذا المستوى.

وأنا أتمنى أن أخونا الدكتور محمد العوَّا يحدثكم في يوم من الأيام عن موضوع السنَّة التشريعية والسنَّة غير التشريعية لأن هذا موضوع كبير يتسلسل ممن قد كتب قبله في هذا الموضوع، فالإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت كتب مقالة عنوانها "شخصيات الرسول" في مجلة الرسالة سنة 1936 أو1937 على ما أعتقد، وقبلها الإمام القرافي كتب قبلها في هذا الموضوع كتابة واسعة، لكن أول من ناقش هذا الموضوع هو الحُباب بن المُنذر رضي الله عنه عندما قال للنبيّ ﷺ عندما جاء ينزل في بدر: (أهذا منزلٌ أنزلكه الله أم هو الحرب والرأي والمكيدة) قال: (بل هو الرأي والحرب والمكيدة) قال فإن كان كذلك وأشار برأيه، إذن فهذا الصحابي والصحابة جميعاً كانوا يعرفون أن هناك فرق بين ما ينزل فيه وحي وما لم ينزل فيه وحيّ فما لم ينزل فيه وحيّ مفتوح للمناقشة، ولذلك عندما حمى النبيّ ﷺ المدينة ومكة من أن يُعضد شجرها وأن يُصاد صيدها، فسيدنا العباس قال له يا رسول الله هذا الشجر فهذا الشجر يستخدموه حتى يسوقوا دوابهم ويشعلوا النار، وهذه إن كانت سُنَّة تشريعية ما كان قال له كذلك، فهذا كان اجتهاد من النبيّ ﷺ وهذه أول محميات في التاريخ التي

وضعها النبيّ ﷺ في مكة والمدينة ووادي وجّ (وادي قريب من الطائف) يقول النبيّ ﷺ: (إن صيد وجٍّ حرام) وهو حرام بحكم أنه محمية وليس في حكم الحِل والحُرمة.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم. سبحانك اللهم وبحمدك نشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.